184354 - هل يلزم التائب أن يصلي صلاة التوبة عن كل ذنب اقترفه ، أم تكفيه صلاة واحدة عن جميع الذنوب ؟

السؤال

أريد أن أعرف حكم قولي في دعائي مرة من المرات "يارب اجعلني واحدًا من الطائعين في نظرك" ، هل هذا القول فيه حرمة ؟ ثانيًا : أريد أن أعرف إذا كنت أريد أن أتوب إلى الله عز وجل ، من ذنوب كبيرة قد اقترفتها في الماضي ، هل يجب عليّ أن أصلي صلاة التوبة مرة واحدة لكل الذنوب ، ثم أدعو الله عز وجل وأطلب منه المغفرة ، أم أصلي لكل ذنب صلاة ؟

الإجابة المفصلة

أولا : قول العبد في دعائه : " يا رب اجعلني واحدًا من الطائعين في نظرك "
فإن كان يقصد أن لا يسقط من عين الله ، وأن يلاحظه الله تعالى بلطفه وكرمه ؛ كقول ابن القيم رحمه الله ـ في "مدارج السالكين" (1/474) ـ في وصف المخلص المتجرد :
" لا يخاف إلا من سقوطه من عين الله واحتجاب الله عنه "
وقول بعضهم ـ كما في "مدارج السالكين" (2 /91) أيضا ـ : " من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله " ؛ فهذا معنى صحيح .

وإن كان يقصد " اجعلني واحدا من الطائعين عندك " ، كما يقول العوام " هذا في نظري معناه كذا وكذا " يعني عندي ، فيقصد : اجعلني من المطيعين حقا : فالمعنى صحيح ، ولكن اللفظ لا يصح ، فلا يليق بالعبد أن يخاطب الله تعالى بهذه الألفاظ الدارجة ، فإن الله تعالى يدعى بأسمائه وصفاته ، ويُلتزم في دعائه بآداب الدعاء الشرعية ، ويتأدب العبد مع ربه عند سؤاله ونجواه .

والأولى في مثل ذلك أن يحتاط العبد لنفسه ، ولا سيما في الدعاء الذي هو عبادة ، يرجو أن يكون على وجه مقبول عند ربه ، فينبغي عليه أن يأخذ ما يعرف من الأدعية المأثورة السالمة ، ويدع ما ينكر ، وما اشتبه عليه .

ثانيا :
من أسرف على نفسه ثم تاب : تاب الله عليه ، قال الله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر / 53.
قال ابن القيم رحمه الله :
" قد استقرت حكمة الله عدلا وفضلا أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس والزنا : أنه يبدل سيئاته حسنات ، وهذا حكم عام لكل تائب من ذنب ، فلا يخرج من هذا العموم ذنب واحد ، ولكن هذا في حق التائبين خاصة " انتهى من "الجواب الكافي" (1 / 116) .

ثالثا :

يشرع للتائب من الذنب أن يصلي صلاة التوبة ، وذلك أن يصلي ركعتين يجتهد فيهما بالإخلاص وحضور القلب والإقبال على الله ، ثم يستغفر الله ويتوب إليه مما فعل من الذنب . راجع لمعرفة المزيد عن صلاة التوبة جواب السؤال رقم : (98030) .

وتشرع هذه الصلاة لكل ذنب صغير أو كبير .

وتكفيك صلاة واحدة عن جميع الذنوب السالفة ، على أن تكون صادق العزم على التوبة النصوح ، فتصلى ركعتين تقبل فيهما على الله وأنت منكسر ذليل خاضع لله ، ثم تستغفر الله وتتوب إليه مما فعلت ؛ وذلك لعموم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا (شك أحد الرواة) يُحْسِنُ فِيهِمَا الذِّكْرَ وَالْخُشُوعَ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، غَفَرَ لَهُ) رواه أحمد (26998) ، وذكره الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (3398) .

وروى البخاري (164) ومسلم (226) عن عثمان رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا وَقَالَ : (مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) .

فتكون هذه الصلاة ، وهذا الاستغفار بمثابة بداية عهد جديد ، أقبلت فيه على الله وعلى العمل فيما يرضيه ، وتركت معصيته وخلاف أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولو أُمِرَ كثير من التائبين أن يصلوا صلاة التوبة لكل ذنب أسلفوه ، لظلوا يصلون حتى يلقوا ربهم ، ولكن التوبة الصادقة تجب ما قبلها كله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" مَنْ تَابَ تَوْبَةً عَامَّةً كَانَتْ هَذِهِ التَّوْبَةُ مُقْتَضِيَةً لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ كُلِّهَا ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَحْضِرْ أَعْيَانَ الذُّنُوبِ ، إلَّا أَنْ يُعَارِضَ هَذَا الْعَامَّ مُعَارِضٌ يُوجِبُ التَّخْصِيصَ ؛ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الذُّنُوبِ لَوْ اسْتَحْضَرَهُ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ ؛ لِقُوَّةِ إرَادَتِهِ إيَّاهُ أَوْ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ حَسَنٌ لَيْسَ بِقَبِيحِ . فَمَا كَانَ لَوْ اسْتَحْضَرَهُ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ : لَمْ يَدْخُلْ فِي التَّوْبَةِ ، وَأَمَّا مَا كَانَ لَوْ حَضَرَ بِعَيْنِهِ ، لَكَانَ مِمَّا يَتُوبُ مِنْهُ : فَإِنَّ التَّوْبَةَ الْعَامَّةَ شَامِلَتُهُ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (10 /328) .

على أنه مما ينبغي أن يعلم أن هذه الصلاة ، صلاة التوبة ، ليست واجبة من الأصل ، كما جاء في عبارة السائل ، بل هي من المستحبات ، باتفاق المذاهب الأربعة .

ثالثا :

لا يعني ذلك منعك من كثرة الصلاة والاستغفار ؛ فإن الإكثار من الصلاة والاستغفار مشروع غير محدود بحد ، وهو مما يدل على صدق الإقبال على الله تعالى وصحة التوبة .

وقد روى الطبراني في "المعجم الأوسط" (243) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر) .

حسنه الألباني في "صحيح الجامع" (3870) .

فدوام الصلاة ودوام الاستغفار مشروع بكل حال ، ولكن لا يلزم أن يكون ذلك بنية التوبة ، بل استكثر من الحسنات : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) هود/114-115 .

راجع للفائدة إجابة السؤال رقم : (14289) .

والله تعالى أعلم .